مفكرة

الأخوي .. صوت يصرخ في البرية ..

في كل حرب من الحروب تبرز اسماء وتعبيرات جديدة . تبرز اسماء ابطال الحرب الوطنيين ، كما تبرز معها اسماء مجرمي الحرب المشاهير ، وتبرز التعبيرات السياسية الجديدة ومعها التعبيرات العسكرية ايضا .

هذا يحدث في كل الحروب : العالمية منها والوطنية والمحدودة .

لبنان ايضا ، كان له في حربه الخاصة تعبيرات واسماء جديدة .

فقد دخلت تعبيرات : حاجز وحاجز طيار وطريق سالكة وطريق حذرة وخطف ... الخ قاموس الحياة اليومية للمواطن اللبناني . وفرض « القناص » نفسه نجما دائما على شريط الحياة اليومية ، ليس فقط لتلك الطبقة الاجتماعية التي يسمونها بالمجتمع المخملي والتي تستفرد اخبارها وصور حفلاتها بالصفحات الاجتماعية للمجلات اياها ، وانما لكل طبقات المجتمع .

والى جانب بروز اسماء قادة الميليشيات واسماء الزعامات الطائفية لسياسية فقد برز معهم اسم المذيع « شريف الاخوي » وجاراهم كتفا بكتف . وليس ادل على ذلك من الضجة التي قامت عندما اوقف لاقل من يوم عن الاذاعة بسبب تطاوله على بعض المقامات ، مما دفع رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء الى تطييب خاطره واعادته الى خلف مذياعه على حصان ابيض .

« شريف الاخوي » فرض اسمه بين الاسماء لانه فاتح دولة على حسابه ، ويصرف كل اعمالها من وراء المذياع . انه يحاول ان يحل كل مشاكل المواطنين بمناشداته ونداءاته المتحمسة : بدءا من مشكلة الامن والتقاتل ، الى مشكلة الخبز والتموين ، الى مشكلة المحروقات ، الى مشكلة هروب المسؤولين الكبار عن مراكز عملهم حتى في الايام التي يدعون فيها العمال والموظفين الغلابى الى الالتحاق بمراكز اعمالهم ووظائفهم ، وحتى « مشكلة » السيدة التي تريد الذهاب الى « الكوافير » وتسأل عن الطريق اليه .

لكنه ، بالقطع ، لم يفرض نفسه ولم يجعل الناس تنتظر اطلالته عليهم بشوق وشغف الا لانه دخل عليهم من باب الامن . الا لانه كان المصدر الوحيد ليعرف الناس ماذا يجري في البلد وأين يجري حين صمتت كل المصادر الرسمية، ولانه ظل المرشد الوحيد الذي ينبه الناس الى الطرق الخطرة فحفظ بذلك بعض الارواح في الوقت الذي تنازلت فيه الدولة واجهزتها عن هذا الواجب لتعطي عصابات الكتائب فرصة جني اكبر عدد من ارواح البشر بل وتساعدها على ذلك .

صحيح ان هناك آراء تقول بأن النظام يستفيد هو ايضا من ظاهرة « الاخوي » بمحاولة اظهار الوجه الديمقراطي للنظام الذي يسمح لمذيع بسيط ان يتكلم بهذه الطريقة وان يتطاول على بعض المقامات دون ان يفصل او يؤدب ، وهي لذلك تتغاضى عنه ولا تحاول جديا ان تفرك ليه اذنه . وصحيح ان « الاخوي » لا يتعدى في كل ما يقول المناشدات والنداءات ، ولا يقول للناس الاسباب الحقيقية لكل ما يجري والتي تكمن في بنية النظام القائم على الطائفية السياسية وتحكم الاقلية الضئيلة بالاغلبية الساحقة واستغلالها لها .

وصحيح ايضا ، ان « الاخوي » لا يوضح للناس الطبيعة الطبقية لهذا التقاتل ولا ارتباطه بمخططات التسوية السياسية الامبريالية المرسومة للمنطقة وما تفرضه من تحضير للاجواء ومن تركيع للمقاومة الفلسطينية .

لكنه يبقى رغم ذلك صوتا مخلصا يحاول في حدود امكانياته ان يفعل شيئا بالطريقة التي يعرفها وبالوسيلة والامكانية المحدودة التي يملكها . ويبقى فوق ذلك ايضا الصوت الرسمي الوحيد الذي يلبي لهفة الناس الى الامن والمعرفة ، ويحاول تلبية بعض احتياجاتها وطلباتها ، وتركن الناس الى صدقه .

وليس مطلوبا منه اكثر من ذلك ولا يستطيع .

وفي مثل هذه الايام الغبراء هذا ليس بالقليل .

وتبقى الجماهير قادرة بحسها الثوري على اكتشاف اسباب المعركة وطبيعتها وارتباطاتها من خلال نار المعركة وضراوتها ومن خلال دمائها التي يسفكها رصاص المصابات لوقف الجماهير الزاحفة لصنع فجرها وفجر لبنان .

■■

الطريق الى باريس وجنيف سالكة ..

واحد من عشاق لبنان الاخضر ، لبنان المحبة والتسامح والمساواة ، ارسل زوجته واولاده الى باريس ليقنعوا اولاد الذوات الباريسيين ان ما يجري في لبنان ليس من الطبيعة اللبنانية وانما من صنع الغوغاء المشبعين بالافكار الغريبة المستوردة والمدمرة عن المساواة والعدالة . وليقوموا من هناك « بمناكشه » افضل الحلول للمشكلة ويرسلوها في مناشدات ونداءات عن المحبة والتسامح ، طالبين من الفقراء ان يرضوا بفقرهم ، فالدنيا ارزاق ، وللمحرومين ان يستمتعوا بحرمانهم ويكفوا عن المطالبة بحقوقهم وبالمساواة ، لان نصيبهم في الجنة ولان « العين لا تعلو عن الحاجب » . وبالمناسبة ، لكي يشتروا « شوية » ملابس جديدة لموسم الشتاء الذي دخل .

المدام واولادها نزلوا في فندق باريسي فخم يناسب المقام .

ومثل المدام فعل بضعة آلاف من امثالها وفي مقدمتهم عدد من نواب الشعب « المدافعين » عن ارواحه ومصالحه . لذلك طلب اصحاب الفندق الفخم من المدام مغادرة الفندق خلال خمسة ايام من غير مطرود ليكون بامكانه استقبال ضيوف جدد . وقد ظنت المدام في البداية ان اصحاب ذلك الفندق هم ايضا من اليسار الدولي الهمام وان موقفهم هذا هو نوع من التضامن مع رفاقهم في لبنان ، لكنها فوجئت ان ذلك كان موقف جميع اصحاب الفنادق الفخمة في باريس ، فاتصلت بزوجها في بيروت تشكو له احوال آخر زمن ، بعد ان لعن الزوج هذه الدنيا وايامها وعتب على الباريسيين « ومش هيك كان الامل » ، هدا خاطر زوجته وطلب منها الانتقال هي والاولاد الى جنيف .

ومين عارف ، بكرة اذا طلب منها اولاد الزوات « الجنيفيين » المغادرة فقد يطلب منها الانتقال الى كوبنهاجن ثم الى ميونيخ ثم الى نيويورك ثم ... ثم .. الخ .

ويا سادة يا اولاد الذوات اعلموا ان الارض كروية ، وان لا كرامة لانسان الا في وطنه .

ويا فقراء الشياح والنبعة والقبة وسعد نايل وكفر شوبا ، ايها الصامدون على ارض لبنان تعطونه لونه الحقيقي بمزج دمكم مع ترابه ، ايها المحافظون بحدقات العيون على لبنان الانسان تتلقون رصاص قتلة لبنان بصدوركم ، ايها الصانعون من جوع اطفالكم فجر لبنان ، اعلموا ان النصر لا يمكن الا ان يكون للفقراء الصامدين حين يحملون السلاح .